بلاغة تكرار القصص في القرآن الكريم

د.عبد الحليم ريوقي
كلية الآداب واللغات
جامعة علي لونيسي-العفرون-الجزائر-

مقدمة:

اشتمل القرآن الكريم على نصوص وسياقات، دل البعض منها على الأحكام والتشريع، وما وافق ذلك من الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، وأخرى تضمنت القصص والأخبار والأمثال، وآيات محكمة وأخر متشابهات، قال الزركشي: أن القرآن اشتمل على « سبعة أنواع كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن، بخلاف غيره من أنحائه فبعضها أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال وغيره»[1]، «يسترعي انتباهنا ونحن نتعامل مع القرآن الكريم هذا الاستعمال المكثف الواسع للأسلوب القصصي في أرجاء هذا الكتاب الكريم، فلا تكاد تخلو سورة منه من إشارة أو تفصيل لقصة نبي من الأنبياء، أو أمة من الأمم الغابرة...»[2].

إن المنهج القصصي في القرآن منهج شامل متكامل، والمتأمل لهذا المنهج يعرف كيف ينسق أفكاره وكيف يسلسلها حتى تصير محكمة ومنطقية مشيدة البنيان متأصلة الأركان[3]، فالقصة القرآنية جمعت في روعة واقتدار باهر بين الدين والأدب والتاريخ فالجمع بين الثلاث شكل جانبا من جوانب

---

(1) - الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد ،البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، د.ت.، ج1، ص 216

(2) - فاتح الربيعي، القصص القرآني، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 25

(3) - ينظر، محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار آمون لطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1993.، ص 15

جمال القصة القرآنية،[1] ونستدرك هنا أن القصة دلت على حقائق علمية، بالإضافة إلى دلالاتها الدينية وبأسلوب أدبي سردي متفرد لا يضاهيه أسلوب آخر، وسرد حقائق تاريخية، كما أنها جمعت بين الأزمنة الثلاث: قصص لزمن مضى، وقصص في زمن حاضر النبي، وقصص مستقبلية.

ظاهرة أسلوب القص في القرآن تلفت النظر من صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، لبلاغته وجمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه[2]، يقول الباقلاني: «إن أسلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة»[3]، فلا يوجد أسلوب آخر يجاريه في بلاغته، وحفظ الأسلوب نفسه مع هذا الطول، والاشتمال على موضوعات مختلفة من أوامر ونواهي ووعد ووعيد وقصص[4]، والقصص القرآني هو من ضمن النصوص القرآنية فهي كلام الله وتأخذ حظ النصوص القرآنية من أسلوبه البديع، وبلاغته وإيجازه، وإعجازه اللغوي والعلمي والتاريخي...، وجزالة ألفاظه، ورفعة تراكيبه الدالة المعبرة بأبسط تركيب.

وكل ما ورد في القصص القرآني من أشخاص وأحداث ومجتمعات وأقوام وأمصار وقرى وقعت فعلا، ما في ذلك أدنى شك [5] القصص القرآني هو قصص حقيقية وقعت، وليس من نسج الخيال، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[6]، وقال الله تعالى في بداية قصة أهل الكهف: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ

(1) -ينظر، عبد الجواد المحص، الجمال في القرآن الكريم – مفهومه ومجالاته- ص25

(2) - ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2010، ص 26

(3) - أبو بكر الباقلاني: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971، ص 60.

(4) - ينظر، المصدر نفسه، ص 67

(5) - ينظر، محمد الدالي الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 151

(6) - سورة آل عمران، الآية 62

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[1]، حتى تلك القصص التي وردت في سياقات دالة على أنها من ضرب الأمثال فهي قصص حقيقية، قال الله تعالى في بداية قصة المؤمن والكافر: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾[2]، وقال الله تعالى في بداية قصة أصحاب الجنة: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾[3]، فهذه القصص ولو دل السياق التي وردت فيه على أنها من جهة ضرب الأمثال، فهي قصص حقيقية، تتميز بالواقعية التاريخية، « ونعني بها أن كل ما في قَصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل، ولا يخالفها نقل، وسواءٌ في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات، كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة، وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع، ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة، ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة» [4]، والقصة القرآنية ليست كقصص البشر،» فالفرق بين النمطين يكمن في طبيعة تناول الحدث، لأن القارئء يعرف سلفاً بأنه حيال أحداث وهمية يفتعلها القاص في القصة المصطنعة، بينما تجد تأثره وانفعاله ذا سمة واقعية في القصة القرآنية، لأنه حيال أحداث حقيقية جرت على أرض الواقع، وهنا تبرز أهمية قصص القرآن، فهي تتعامل مع واقع لا مع محتمل، فيتحقق بذلك عنصر الإقناع وعنصر الإمتاع[5].

(1) - سورة الكهف، الآية 13

(2) - سورة الكهف، الآية 32

(3) - سورة القلم، الآية 17

(4) - وهبة الزحيلي، القصة القرآنية هداية وبيان، دار الخير للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1998، ص 18.

(5) - ينظر، محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1972، ص 175

يدعي البعض بأن القصص القرآني غير واقعي، كما يذهب نصر حامد أبوزيد بأن القصص القرآني أساطير، وحوادث ملفقة أو مكذوبة، وأنها كانت لحرب أعصاب للإقناع لا أقل ولا أكثر، وتاريخ الأنبياء في القرآن لا ينبغي أن يؤخذ بأنه حقائق[1]، وأضاف نصر حامد أبوزيد بأن مصادر القصص القرآني كانت من كتب الأديان الأخرى، والحكايات الشعبية[2]، وهو ما ذهب إليه الكثير من المستشرقين، تعالى الله عما يصفون.

والقصة القرآنية لا يقترب منها أي فن قصصي بشري عبر الأزمنة، فالقصة القرآنية لا تسرد كل الأحداث بالتفاصيل، وتركز على أهم المواقف التي تنطوي على الدلالات المتعددة[3]، وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[4] وذلك لتمام مطابقتها للواقع[5].

والجمال الفني في قصص القرآن لا يعتمد علي الخلق والابتكار والخيال، ولكن علي صدق الرواية وإبداع العرض وجمال الأداء[6] ، وليست القصة القرآنية مجرد حكاية للتسلية وإمداد الخيال برؤى بعيدة التصور، وإنما هي بيان صادق أمين لواقع تاريخي هزّ أركان أقوام طغوا وبغوا، فكانت هزة صادعة لجميع الأقوام والقبائل والأفراد[7] ، والقرآن حين يعرض قصص

(1) - ينظر، فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1997، ج2، ص 407

(2) - ينظر، المرجع نفسه، ج2، ص 408.

(3) - ينظر، محمد قطب، القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 24

(4) - سورة النساء، الآية 87

(5) - ينظر، محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول في التفسير، (بعد كتاب شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية)، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص283

(6) - ينظر، التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الدار التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1987، ص 149.

(7) - ينظر، وهبة الزحيلي الدكتور، القصة القرآنية هداية وبيان، دار الخير للنشر

الأنبياء وغيرهم نراه» يأخذ مواد القصص من أحداث تاريخية ووقائعه، لكنه يعرضها عرضا أدبيا ويسوقها سوقا عاطفيا يبين المعاني، ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا استهوائيا يستثير منها العاطفة والوجدان»[1]، ويخرج بها من الدائرة التاريخية إلى الدائرة الدينية [2].

القصص القرآني من أحسن القصص التي وقعت حقيقة، قال الله تعالى في بداية قصة يوسف عليه السلام: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾[3]، وأحسن القصص أفاد باشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى [4]، وأنها من أحسن القصص التي وقعت فعلا لا خيالا، « القصة القرآنية ليست للتسلية والمتعة فهي مرصودة للعبرة والهداية وهي قصص حقيقية وقعت فعلا[5]، وعرضت بأسلوب شيق لا يدانيه أي أسلوب.

الظاهرة الأسلوبية اللافتة للانتباه هي تكرير بعض القصص أو بعض من أحداثها في السياق القرآني، وتناول الجاحظ أمر تكرار المعاني، والقصص في القرآن فقال: «وقد رأينا الله عز وجل ردّد ذكر قصّة موسى،وهود، وهارون،وشعيب،ولوط وعاد وثمود، وكذلك الجنّة والنّار وأمور كثيرة، لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب، وأصناف العجم، وأكثرهم عيّ غافل،أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب،وأمّا أحاديث القصص،والرّقّة [أي المواعظ]، فإنّي لم أر أحدا يعيب ذلك،وما سمعناه بأحد من الخطباء كان يرى إعادة

والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1998،ص 61

(1) - محمد أحمد خلف، الفن القصصي في القرآن، ص 122

(2) - ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص 25

(3) - سورة يوسف، الآية 3

(4) - ينظر، محمد بن صالح العثيمين،شرح أصول في التفسير، ص283

(5)- ينظر، محمد قطب، القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 21

بعض الألفاظ،وترداد المعاني عيّا»[1] ، وقيل بأن هذا التكرير هو وراء تسمية القرآن بالمثاني قال السيوطي: «وأما المثاني فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثان لما تقدمه وقيل لتكرر القصص والمواعظ فيه وقيل لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ والمعنى كقوله:﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [2] حكاه الكرماني في عجائبه[3]*»-[4].

ولا يصح أن تحكم مقاييس الفن القصصي في الأدب البشري بصورة آلية على ما جاء في القرآن الكريم [5]» فهو ليس كتاب أدب، وقد أبدع فيه الخالق منطقه كما أبدع فيه، والقصص القرآني قصص ديني قبل كل شيء فلا يمكن النظر إليه من زاوية واحدة وقد جاء لخدمة أغراض متنوعة فلا يمكن تفسيره بالاعتماد على نظرية واحدة» [6].

خصائص أسلوب تكرير القصص القرآني:

والتكرير في القصص القرآني ظاهرة واضحة ملفتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات والبحث، فقد وجد أصحاب الأهواء ومرضى القلوب من الملحدين وأعداء الإسلام مدخلا ملتويا، يدخلون منه على الطعن في القرآن والنيل من بلاغته وإعجازه، ويتكئون علي ذلك بحجج واهية وأدلة باطلة، وهي أن التكرير في القرآن قد أدخل الاضطراب على أسلوبه وجعله ثقيلا علي اللسان والسمع، يبعث على الملل والسآمة، وهم بذلك يخلصون إلى نتيجة وهي أن أسلوب القرآن ليس علي المستوى البلاغي الرفيع الذي يجعل القرآن معجزا

(1) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص115.

(2) - سورة لأعلى، الآية 18

(3)* - المقصود بعجائبه، كتاب الكرماني « أسرار التكرار في القرآن»، فمن الناس من يسميه عجائب التكرار في القرآن.

(4) - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،ج1، ص 148

(5) - ينظر، محمد قطب، القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 170

(6) - د التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص 170، وكذلك ينظر، محمد قطب، القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 170

وأنه من السماء [1]، فهم قد رأوا أن التكرار عجز بياني وقصور فني، بل ادعى بعضهم أنها هلوسة أو أثر من آثار الأمراض النفسية التي كانت تنتاب محمدًا صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان، فتخرجه عن صوابه وتجعله يردد كلمات ومقاطع قد ذكرها مرة قبل هذا، ويعيد ويزيد كما يفعل عادة المحموم المصروع [2] ، «وإذا كان هؤلاء يتشدقون بهذه الكلمات كذبا وبهتانا على رسول الإسلام وكتابه، فإن الذي دفعهم إلى ذلك هو عداوتهم للإسلام وحقدهم على رسوله، ثم إنهم أعاجم أو أشباه أعاجم لم يتذوقوا طعم البلاغة العربية ولم يقفوا على أسرارها ولم يفقهوا دقائقها»[3]، « وعجز الفكر الإسلامي عن فهم الأسرار التي من أجلها كان التكرار في قصص القرآن يرجع إلى اعتماد المذهب التاريخي في فهمه ولو أنه أقام هذا الفهم علي أساس فني أو أدبي لما وقف موقف الحيرة ولما عد القصص القرآني من المتشابه»[4]، والمقصود باعتماد المنهج الفني الأدبي لفهم هذا التكرير يحيلنا مباشرة، للوقوف على دلالات هذا التكرار وربطه بالسياقات الواردة فيها والأغراض المنشودة من وراء كل تكرير، غير أننا ندرك مسبقا أن التكرير القصصي يتعدى حدود الجوانب الفنية والأدبية، بحجة ما سنورد من دلالات هذا التكرير لاحقا بحول الله.

ويعتبر التكرير في القصص القرآني، والواقعية التاريخية فيها من خصائص أسلوب القص القرآني، ومجمل خصائص التكرير القصصي في القرآن، إلى جانب الواقعية التاريخية هي:

---

(1) - ينظر، عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص 394، وكذلك ينظر، عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني – مفهومه ومنطوقه-، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 230

(2) - ينظر، محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص 319.

(3)- أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني – دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام - دت، ص 5

(4) - محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، ص 32.

1 - التكرير الهادف المعجز: ولما لهذه الخِصِّيصة من تميز وظهور؛ فإنما أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق التكرير في القرآن، وبيانِ مغازيه وأهدافه التي تزيده سموا ورفعة، وبيانِ الكتب التي ألفت خاصة في بيان تلك الروعة القرآنية[1]. لا تكرار في القصص القرآني فلكل ما كرر له دلالة من السياق المدرج فيه [2] ، يطلق التكرار بمعنى ذكر الشيء مرة بعد مرة، وأكثر ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يُعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة، وهذا المعنى لا يتحقق في القصص القرآني الكريم، بل لا يمكن أن يتحقق أو يكون [3]، وتتعلق كل قصة مكررة بمعان متجلية وواضحة ومتباينة في كل خطاب ونص قرآني، قال الإمام ابن تيمية:» وليس في القرآن تكرار محض، بل لابد من فوائد في كل خطاب «[4]، إن التكرار في قصص القرآن لم يكن لمجرد التكرار، بل هو تجديد للمعاني وليس ترديدا، والفرق بين التجديد ومجرد الترديد أن الترديد يكون تكرارا لا غاية لها أو يكون لمجرد التوكيد، أما التجديد في تكرار اللفظ فإنه يكون لغاية بعده لا تتم إلا به [5]، وهذا التكرار متعلق بالمقام والسياق الذي يكرر فيه، كما أن لكل ما كرر دلالة غير الدلالة التي سبقته في المقام الأول،» ومن الأغراض الدينية المتنوعة في القرآن ندرك أن التكرار في القصص القرآن مقصود بحكمة إلهية، ذلك أن القصة في القرآن ذات هدف ديني بحت هو المدخل إليها وهو النهاية أيضا» [6].

---

(1) - ينظر، وهبة الزحيلي، القصة القرآنية هداية وبيان، ص 18، وكذلك، ينظر، عبد الرب آل نواب، الدعوة إلى الله تعالى، ص 160

(2) - ينظر، محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 120

(3) - ينظر، عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني للطباعة للنشر، بيروت، لبنان، لات، ص 180.

(4) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج14، ص 408.

(5) - ينظر، محمد أبوزهرة، المعجزة الكبرى (القرآن)، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص 194.

(6)- محمد قطب، القصة في القرآن- مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 216

2 -**تباين أساليب القص:** « القصة [في القرآن] لما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها، لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه، فباين ذلك كلام المخلوقين»[1]، تكرار القصة في القرآن لا يعني تكرار المعنى أو الفكرة وإنما هو تكرار حول الشخصية في مواقف مختلفة[2].

3 - **التكرير القصصي في القرآن يكون مفصولا:** رأينا أن الألفاظ أو العبارات يمكن أن تتكرر بشكل موصول ومتتال، بنفس التركيب والمعنى أو باختلاف أحدهما، أو بشكل مفصول متباعد، لكن تكرير القصص في القرآن لا يكون إلا مفصولا وبشكل متباعد، فلا تكرر القصة بعد القصة مباشرة، بل في موضع آخر من القرآن في سورة أخرى، وقليلا ما يكون التكرير للقصة الواحدة في نفس السورة ولكن بينهما آيات.

4 - **تكرير الجزء لا تكرير القصة كلها،** فالتكرير القصصي لا يتناول القصة كلها وإنما هو تكرير لبعض حلقاتها[3]، فالتكرير في القصص القرآني لا يكون بتكرير القصة الأم، بل بتكرير جزء أو أجزاء منها وفق السياق أو المقام أو الغرض.

هذه الأساليب المتنوعة في السرد القصصي القرآني هي إعجاز ووجه بلاغي من أوجه القرآن المتعددة في المجالين الإعجازي والبلاغي، وهذا ما سنستوضحه من أحد أوجه دلالات التكرير.

---

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 26، وكذلك، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 205-204

(2) - ينظر، محمد قطب، القصة في القرآن -مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 23

(3) - ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص 26

دلالات التكرير القصصي في القرآن:

هذا التكرير القصصي المتفاوت تنبه له المتقدمون والمحدثون وقدموا عدة دلالات وأحكام، ومجمل أقوالهم في هذه الدلالات والأحكام هي:

أولا: التفاضل بين الأنبياء عند الله:

تكررت بعض قصص الأنبياء أكثر من بعضهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٣﴾ [1]، وقال الله تعالى:﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾[2]، قال ابن العربي في القواصم: «ذكر الله قصة نوح في خمس وعشرين آية، وقصة موسى في تسعين آية»[3]، وهذا التكرار لبعض قصص الأنبياء يدخل في باب رفع درجات بعضهم على بعض، وليس لنا البحث في دلالاتها لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم،» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَفِيقُ فَأَجِدُ مُوسَى مُتَعَلِّقًا بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَجُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ أَوْ أَفَاقَ قَبْلِي»[4]، والبحث

(1) - سورة البقرة، الآية 253.

(2) - سورة الإسراء، الآية 55

(3)- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم، تحقيق د.عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص 85، وكذلك ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 25، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 205-204

(4)- رواه الإمام البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ولما جاء موسى لميقاتنا، رقم: 4272،

في دلالات التكرير المتعلقة بتفاضل الأنبياء يدخل خانة التخير بين الأنبياء وهو منهي عنه، فحكمها ودلالاتها عند الله، هي وأسئلة أخرى منها لماذا ذكر بعض الأنبياء دون بعض في أولي العزم، لماذا ذكر في القرآن أسماء رسل دون ذكر البعض، وأبهم أسماء البعض الآخر، ولماذا تكررت أسماء رسل أكثر من أسماء رسل آخرين، فقد تكرر اسم موسى عليه السلام في القرآن 136 مرة، واسم عيسى عليه السلام 25 مرة، و11 مرة اسم المسيح، 5 منها مقرون باسم عيسى، و6 باسم المسيح فقط، واسم محمد عليه السلام 4 مرات فقط، هذه التكريرات تحمل دلالة من دلالات عدة، منها أن لو كان القرآن من عند محمد عليه السلام كما يزعم البعض لذكر اسمه أكثر من أسماء الأنبياء الآخرين، وهي دلالة من دلالات أخرى لا نخوض فيها للنهي السابق.

ثانيا: تعدد أساليب الوعظ:

تكرير بعض القصص كان من باب تعدد أغراضها ومواضيعها، وما حملت من مواعظ وذكرى وعبر، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[1] وأنفع القصص لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾[2] وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، وبيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾[3]-[4] القصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجهُ إليه القصة في مواضع أخرى، أو

ورواه الإمام أحمد، كتب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي سعيد الخدري، رقم: 10856.

(1) - سورة هود، الآية 120

(2) - سورة يوسف، الآية 111

(3) - سورة القمر، الآية 4،5 .

(4) - ينظر، محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول في التفسير، ص 284

تتحدث من جهةٍ غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى وذلك نظراً لأن القرآن الكريم كتاب هداية وعبرة، وليس كتاب سرد تاريخي، ولا متعة أدبية فارغة؛ فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة، متجهة نحو الغرض الذي سيقت من أجله[1].

فكل قصة حملت في تكرارها دلالات معينة أو سرد مقطع منها، أو لتناسبها مع الغرض والموضوع المدرجة فيه، قال ابن قتيبة:» وأما تكرار الأنباء والقصص؛ فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، بفرض بعد فرض، تيسيرا منه على العباد وتدريجا لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ تنبيها لهم من سنة الغفلة وشحذا لقلوبهم بمتجدد الموعظة، وناسخ بعد منسوخ استعبادا لهم واختبارا لبصائرهم يقول الله عز وجل:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾[2]، «الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالتثبيت هو والمؤمنون[...] ولو أتاهم القرآن نجما واحدا لسبق حدوث الأسباب التي أنزله الله بها، ولثقلت جملة الفرائض على المسلمين وعلى من أراد الدخول في الدين، ولبطل معنى التنبيه وفسد معنى النسخ، لأن المنسوخ يعمل به مدة ثم يعمل بناسخه بعده، وكيف يجوز أن ينزل القرآن في وقت واحد: افعلوا كذا ولا تفعلوه»[3] تكررت بعض القصص لما حملته من تنبيهات هامة وجب الوقوف عليها لأخذ العبرة من منشأ العداوة بين البشر وإبليس، ولهذا تكررت قصة آدم، وهذا « لتنبيه أبناء أدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس

(1)- ينظر، عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ص 181-180.

(2) - سورة الفرقان، الآية 32.

(3) - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 232.

تدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير!ولما كان هذا موضوعاً خالداً، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى»[1]

ثالثا: تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم:

«ومنها تسليته لقلب النبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم، قال تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[2]-[3]»، وتضمن القرآن القصص « لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المكذبين له لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾[4]-[5]» إذهاب السآمة والملل بالقصة، وذلك أن العرض الجديد يشد الأسماع، ويلفت الأنظار، ويبقي صلة المتعة والفائدة بين القارئ والنص المقدس، وهذا من المقاصد العظيمة أيضا، « فيجد البليغ ميلا إلى سماعها، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ»[6]، فالقصص القرآني نزل مرة بعد مرة، فتثبيت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام كان بتذكيره بقصص سالفة ومآل أصحابها ونهاية الجبابرة، وبأن نصر الله قريب، وإبعاد السآمة لأن تسمع القصة نفسها بأساليب مختلفة، وتذكيره مرة بعد مرة بتكرار ما كان من هلاك الكافرين ونصر المؤمنين، وهو ما يعجز عنه البلغاء والفصحاء، فهو وجه من أوجه إعجاز القرآن.

---

(1) - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 121

(2) - سورة هود، الآية 120

(3) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 26

(4) - سورة فاطر، الآيتان: 26-25

(5) - محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول في التفسير، ص 284

(6)- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص ص 29-26

رابعا: التقرير والتأكيد على عبر القصص المكررة:

التكرير أسلوب من أساليب العرب التي جاء بها القرآن ليحقّق أهدافًا معيّنة تثري المعنى؛ فالتكرير عندهم ظاهرة بلاغية لا يفطن إليها إلا كل من له بصر بفنون القول، وهو في القرآن أروع وأجمل من أن تتطاول إليه ألسنة المتقوّلين، يقول الزركشي: «وقد غلط من أنكر كونه _ أي التكرير _ من أساليب الفصاحة، ظنًّا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيّما إذا تعلّق بعضه ببعض، وفائدته العظمى التقرير»[1]، وقد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرّر[2]،وقد نبه الله عز وجل على السبب لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[3]-»[4] فتكرير القصة في القرآن الكريم وثيق الصلة بمنهجه القصصي، إذ هو يخدم غرضين في آن واحد:غرضا فنيا يتمثل في تجدد أسلوبها إيرادا وتصويرا، والتفنن في عرضها إيجازا وإطنابا، والتنوع في أدائها لفظا ومعنى، وغرضا نفسيا بما له من تأثير في النفوس، لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس[5]، «إن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفّظ العلوم إلا ترديد ما يُرام تحفّظه منها، وكلّما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان؟»[6]، يقول الزمخشري: «فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص12 - 13.

(2) - ينظر، المصدر نفسه ، ج3، ص13-12، وكذلك ينظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 201

(3) - سورة طه، الآية 113

(4) - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 201

(5) - ينظر، التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص 115.

(6) - الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص385

ادّكارًا واتّعاظًا، وأن يستأنفوا تنبّهًا واستيقاظًا، إذا سمعوا الحثّ على ذلك البعث، وأن يقرع العصا مرات، ويقعقع لهم الشنّ تارات، لئلا يغلبهم السّهو، ولا تستولي عليهم الغفلة»[1]، قال الجاحظ:» وقد رأينا الله عزوجل ردّد ذكر قصّة موسى، وهود، وهارون، وشعيب، ولوط وعاد وثمود، وكذلك الجنّة والنّار وأمور كثيرة، لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب، وأصناف العجم، وأكثرهم عيّ غافل،أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب»[2]، وللتكرار أثر ملموس في التأثير على الجماعات والأفراد فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا ينتهي إلى قبوله وهذه حقيقة ساطعة[3].

تكررت بعض القصص لما حملته من عبر هامة لرسم الإيمان وهلاك الكفار والطاغين فكانت أحسن القصص في هذا المقام فتكررت بأكثر عن غيرها، لتثبيت حقائقها وتوكيدها في النفوس، الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وبعث الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها[4]، كما أن سرد القصة بأساليب مختلفة يجعلك تنهمك في المقارنة بين النصوص، والمقارنة تستدعي الاستنباط واستنشاط الفهم واستخلاص العبر أكثر من أن تقرأ القصة مرة واحدة، فالمقارنة هي مفتاح الاستنباط الصحيح للعبر والمواعظ والأغراض لها.

خامسا: لإبراز صدق القرآن:

تكرار القصص في القرآن «يظهر صدق القرآن وأنه من عند الله حيث تأتي

(1) - المصدر نفسه، ج 4، ص47.

(2) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص115.

(3)- ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص 27

(4) - ينظر، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص281.

هذه القصص متنوعة [بالتكرار] بدون تناقض»[1] ، وزيادة بعض التفاصيل التي لم تذكرها الآيات من قبل، والمثال الوارد في السؤال واحد من صور هذه الفوائد، فقد زادت الآيات في سورة الحجر قيدا في وصف الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام، وهو كونه من صلصال من حمإ مسنون، في حين لم تذكر ذلك آيات سورة الأعراف المتعلقة بالقصة[2]،» ومنها أن القصة لما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم، وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن، حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه، فباين ذلك كلام المخلوقين»[3] ولو سلك القرآن الكريم طريقا واحدا في إيراد القصص لقال الكفار نحن نقدر علي غير هذا النوع، فقطع الله عليهم كل سبيل للاعتراض وذكر في القرآن أنواعا مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاؤون منها، لكنهم عجزوا، فدل عجزهم علي صدق القرآن وأنه وحي منزل من الله [4].

سادسا: لتبيان أن المنهاج والشرعة واحدة بين الأديان السماوية:

الإسلام كان آخر الديانات السماوية، والمنهج بينها واحد، ولهذا تكررت بعض القصص لأنبياء محددين، موسى عيسى إبراهيم، داود، لتبيان أن الأصل واحد والتعاليم والشريعة واحدة، والمنهاج واحد، «فكان من أغراض

(1) - محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول في التفسير، ص 284

(2) - ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص ص 26 - 29

(3) - المصدر نفسه، ج3، ص 26، وكذلك، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 204 - 205

(4) - ينظر، عبد الباسط بلبول، قصص القرآن، مكتبة أصول الدين، القاهرة، مصر دت، ص 324.

القصة بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة؛ وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان، فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿18﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[5]، وقال الله تعالى:﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾[6]،﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[7]، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[8]، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[9] إلى قوله:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[10]-[11]، وأشد القلوب استعصاء على الهدى والاستقامة قلوب عرفت ثم انحرفت، فاقتضى ذلك أن تلم الأمة المسلمة وارثة الرسالات كلها بتاريخ القوم وأخلاقهم وطباعهم وانحرافاتهم حتى تعرف

(5) - سورة الأعلى، الآيتان: 18 - 19.

(6)- سورة النجم، الآيات: 36 - 38

(7) - سورة آل عمران، الآية 68

(8) - سورة الحج، الآية 78

(9) - سورة المائدة، الآية 46.

(10) - سورة المائدة، الآية 48

(11) - ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 123.

مزالق الطريق، فتضم هذه التجربة في حقل العقيدة والحياة إلى حصيلة تجاربها وتنتفع بها [1].

فمن أغراض القصة في القرآن بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح إلى عهد محمد، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع، وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيد هذه الحقيقة، ولما كان هذا غرضاً أساسياً في الدعوة، وفي بناء التصور الإسلامي فقد تكرر مجيء هذه القصص، على هذا النحو، مع اختلاف في التعبير، لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس[2].

سابعا: إبراز قدرة الله على إخراج أمر بصور متباينة بمعنى واحد:

قدرة الله تتجلى في عدة مستويات، فيما كان وفيما هو كائن، وما سيكون، فأمره: كن فيكون، ويتجلى في قول الله تعالى بما ضمنه كتابه العزيز المنزل على نبيه، ومنه» ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد، لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ [3] وكقوله:﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ [4]_[5].

(1) - ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 125 - 126.

(2) - ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 124.

(3) - سورة الكهف، الآية 109.

(4) - سورة لقمان، الآية 27.

(5) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 28

تكرار القصة بأنماط مختلفة وبأساليب متباينة، هو وجه من أوجه قدرة الله تعالى، فكلمات الله عز وجل لا تنفذ على جهتين، جهة القول غير المكرر، وجهة القول المكرر بأساليب مختلفة ومعان متجددة وأنماط متباينة.

ثامنا: تكرار ما كرر في البيئة العربية:

يذهب الدكتور خلف الله في تعليله لتكرار قصة موسي عليه السلام أكثر من غيرها في القرآن الكريم على «أن اليهود كانوا يسيطرون على البيئة العربية، من حيث التفكير الديني، وهذه السيطرة جعلتهم يقصون كثيرا من أخبار موسى وفرعون، ومن هنا كانت شخصية موسى أكثر دورانا في القرآن من شخصية أيوب مثلا، بل أكثر من أي شخصية أخرى»[1]، فالدكتور يرى بأن القرآن كرر ما كان يتكرر في البيئة العربية كل حسب أهميته وتكراره، هذا التبرير الذي ساقه الدكتور يبدو أنه ضعيف، فاليهود كانوا موجودين في شبه الجزيرة العربية يمارسون دينهم، لكنهم لم يكونوا مسيطرين دينيا على كل شبه الجزيرة العربية، وهو رأي أوردناه من باب ذكر كل ما وجدنا من أقوال في جانب التكرار القصصي، ونجد دلالة أخرى غير التي أوردها الدكتور خلف الله من تكرار قصة موسى أكثر من غيرها مثلا، لأن بني إسرائيل اختلفت اختلافا كبيرا في قصص النبي موسى، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[2]، فالقرآن حمل الهدى والبيان والقصص، وأكثر ما حمل من القصص قصة موسى، وهو تبيان وجواب لما اختلفت فيه بني إسرائيل من قصص موسى عليه السلام.

تاسعا: تكررت بعض القصص لتعميم انتشارها:

وقت نزول القرآن لم تكن هناك وسائل الاتصال المتعددة والسريعة

---

(1) - محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، ص 234.

(2) - سورة النمل، الآية 76.

مثلما هو الحال اليوم، فالله يسر لكل زمن بما فيه « فالرجل كان يسمع بعض القرآن بما تضمن فيه من قصص، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون فيحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم آخرين، وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها، وأن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد للآخرين في الإفهام والتحذير»[1]، وإن جمع القرآن فيما بعد، فما تكرر منه بقي، لأن نزول القرآن وحفظه، وجمعه وترتيبه أمر توقيفي من الله سبحانه وتعالى.

عاشرا: حجة ودليل على عدم الإتيان بمثله:

تحدى الله عز وجل الكافرين فقال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[2]، فلو ذكرت قصة في موضع واحد، واكتفي بها لقال العربي: إيتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزل لها سبحانه وتعالى في تعداد السور دفعا لحجتهم من كل وجه، ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجّز عن الإتيان بمثله، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله أي بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا[3]، وقد تحداهم القرآن بأقسى عبارة في التحدي ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] « فعجزوا رغم أنوفهم، أتراهم بعد هذا قد عجزوا عن هذا الطعن؟، وهل تظنهم ما كانوا يفهمون أسرار البلاغة العربية ؟؛ فلم يفهموا أن التكرار عجز بلاغي وقصور بياني !؟»[5].

(1) - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 234، وكذلك ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 26، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 204 - 205

(2)- سورة البقرة، الآية 23

(3) - ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 26، وكذلك، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 204 - 205

(4) - سورة البقرة آية 23.

(5) - أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص6

وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن: «إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحةُ وتَبِينُ البلاغةُ، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً ومكررًا» [1] ، وهذا التكرار «الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتقوى البلاغة، ولهذا أعيدت كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة، على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررا، ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها، وجعلوها بإزاء ما جاء به وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما حكى وجاء به، وكيف وقد قال: لهم: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [2] «فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز على الطريقين جميعا»[3].

فالكفار آنذاك، «لو وجدوا مطعنا في القرآن لذكروه، بل إنهم قد شهدوا مع عنادهم وكفرهم بفصاحته وبلاغته»[4]، وكتب التاريخ لم تذكر طعن الكفار في القرآن من جانب هذا التكرار القصصي أو غيره، «فعن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر فسأله عن القرآن فلما أخبره، خرج على قريش فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة[5]* فوالله ما هو بشعر ولا

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج3، ص27، وكذلك ينظر، الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 65

(2) - سورة الطور، الآية 34

(3) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 56.

(4) - أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 6

(5)- * قصد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الكفار يسمونه ابن أبي كبشة على اسم رجل ظهر قبل النبي ادعى معرفة الغيب، أو قصد بها كنية زوج حليمة السعدية مرضعة النبي عليه السلام، والله أعلم.

سحر ولا يهذي من الجنون [...]،وقال قتادة زعموا أنّه قال: و الله لقد نظرت إلى ما قال الرّجل فإذا هو ليس شعرا وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة،وإنّه ليعلو وما يعلى عليه،وما أشكّ أنّه سحر»[1].

الحادي عشر: تكرير للتفريق بين القرآن المكي والمدني:

التكرير في القصص القرآني لا يكون على مستوى المعاني والألفاظ فقط، والسور منها المكي والمدني ولكل سورة موضوعها ووحدتها الخاصة بها وما الجزء المحكي إلا تنوع للموضوع وإبراز غرضه [2]، كان تكرار القصص في القرآن بمثابة كلمات مفاتيح لمعرفة المكي والمدني منها، فكل سورة تضمنت قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مدنية، ما عدا سورة البقرة، قال السيوطي:» والقياسي كل سورة فيها يا أيها الناس فقط أو كلاّ أو أولها حرف تهج[حروف مقطعة] سوى الزهراوين والرعد أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكية وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية»[3]، وكذلك كل سورة تضمنت يا أيها المؤمنون فهي مدنية.

وعند النظر فيما طُبّق من هذه البحوث على نصوص أدبيّة، نجد أن هذا التقسيم قد ساعد على الكشف عن مدى تأثير التكرار على النصوص الأدبية، وذلك بحساب معدّلات التكرار لوحدة معيّنة في النصّ المدروس. وقد ظهر تطبيق هذا المنهج على عدد من النماذج، وأدّى إلى نتائج جيّدة في مجال الدراسات النقدية، فكان من ثمرة ذلك المدخل الوقوف على ظاهرة جديدة ومستحدثة تُسمّى المفاتيح[4]، هذه المفاتيح قد تكون كلمات وألفاظ، وقد

(1)- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، ط1، 2002.، ج08، ص 170.

(2) - ينظر، محمد قطب، القصة في القرآن - مقاصد الدين وقيم الفن-، ص 215

(3) - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،ج1، ص47

(4)- ينظر، مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث،

تكون مواضيع أو عبارات أو تراكيب، ولهذا تكررت القصص القرآنية لتكون مفتاح التفريق بين المكي والمدني، فكل سورة تضمنت قصصا للأنبياء والأمم الخالية فهي مدنية، ما عدا السور التي تضمنت قصة آدم فهي مكية (مع استثناء سورة البقرة فهي مدنية).

الثاني عشر: تكرير يعكس الوجه البلاغي للقرآن:

بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر وتصاغ في قالب غير القالب السابق، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل يتجدد في نفسه معان لا تحصل له قراءتها في المواضع الأخرى.

وكذلك قوة الإعجاز فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي[1]،» ومنها أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة»[2].

التناسق مع الموضوع والمناسبة التي وردت القصة لأجلها، فأحيانا تقتضي هذه المناسبة إبراز معنى في الحوار الدائر لم يكن من الضروري إبرازه في مناسبة أخرى وردت فيها القصة، وهذه الفائدة باب واسع من أبواب اكتشاف بحور بلاغة القرآن وإعجازه، وأمثلتها التفصيلية موجودة في بطون كتب التفسير [3] ، ويعكس التكرار للقصة الواحدة باب فصاحة القرآن وبلاغته، فهو تكرار للبرهان على كونه وحيا إلهيا يستشعره كل مطلع على أسرار الفصاحة، فالبشر إن كرروا أمرا تظهر عليه علامات الضعف والتكلف والتفكك، وهو ما لا نجده في أسلوب التكرار القرآني[4].

منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2000، ص145.

(1) - ينظر، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص281.

(2) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 26، وكذلك، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 204 - 205

(3)- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص ص 26 - 29

(4) - ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص 27

الثالث عشر: تكرير وفق تعدد مقام السياقات:

تنوعت أساليب القرآن في العرض بين ترغيب وترهيب، وتشريع، وقص،...، قال الزركشي: أن القرآن اشتمل على « سبعة أنواع كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنحائه فبعضها أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال وغيره»[1]، ولكل نوع سياقات مختلفة، فتنوع التكرير حسب المقام، والمقصد،»ويحسب الناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة، قد تكررت في سورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة، كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار[2]، فالتكرار يكون حسب السياق، وأداء السياق أي وظيفته وغايته.

السياق يتعلق أولا بالموضوع، فلا بد من مراعاة سياق الموضوع لتكييف القصة وفق الموضوع، عبرة، استشهاد،...، « أي أن تأتي قصة نبي من الأنبياء في أكثر من مكان، وهذا التكرار ليس في هيكل القصة وإنما يكون تكرارا ملائما للغرض الذي اقتضى الاستشهاد فيه، مثلا قصة إبراهيم عليه السلام وردت في القرآن في عشرين موضعا، ولكل موضع عبرو دروس وكذلك قصة موسى مع فرعون وردت في كثير من سور القرآن الكريم [3].

التناسق مع الموضوع والمناسبة التي وردت القصة لأجلها، فأحيانا تقتضي هذه المناسبة إبراز معنى في الحوار الدائر لم يكن من الضروري إبرازه في مناسبة أخرى وردت فيها القصة. وهذه الفائدة باب واسع من أبواب اكتشاف بحور بلاغة القرآن وإعجازه، وأمثلتها التفصيلية موجودة

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 216

(2) - ينظر، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 223

(3) - ينظر، نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، ص 65.

في بطون كتب التفسير[1]، يقول الدكتور علي ملاحي: «في العمل القصصي يبدو التعامل مع العوامل اللغوية مكيفا يتفاعل فيها القيم النحوية بالقيم التعبيرية في أداء دلالي يجعل كل سياق قصصي مميزا بعلاماته اللغوية البارزة وخصوصياتها الأسلوبية المختلفة في طبيعتها التواصلية عن غيرها من السياقات القصصية الأخرى كنموذج أو كمعيار قابل لأن يكون مقياسا يتم على ضوئه تحديد مواصفات بعض الظواهر اللغوية الفاعلة في السياق القصصي، إما كنسق وإما كإشارة» [2]، هو قول واضح على أن لكل قصة أسلوبها ومميزاتها وفق سياقها القصصي، وهو ما نجده في تكرار القصة الواحدة في القرآن، فكل قصة تكررت إلا ولها أسلوبها وسياقها الخاص بها، وإن تكررت أكثر من مرتين.

المنهج القصصي في القرآن الكريم هو المنهج البديع المعجز، حيث ذكرت القصة في سور كثيرة، وإن خصت بعض السور بذكر حدث واحد، ثم توزعت هذه المشاهد والأحداث على السور التي ذكرت فيها القصة، قلت أم كثرت، بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها، وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها، وبحيث تذكر القصة في السورة في الموضع الذي اختيرت له والذي اختير لها[3].

بيان أن الحق له السلطان الأعظم على النفوس، إذا ما عرفته وآمنت به، وأنه ليس بوسع أحد أن يحول بينها وبينه، مهما اتخذ من وسائل إغراء أو تهديد، ويبدو ذلك في إيمان امرأة فرعون، فذكر في كل موطن من القصة ما يقتضيه السياق، ولذا لا نراه يذكر القصة على صورة واحدة، بل نراه

(1) - ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص ص 26 - 29

(2)- علي ملاحي، ملامح أسلوبية في مجموعة حين يعلو البحر للقاص محمد شنوفي، ص 93

(3) - ينظر، فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص 81

يذكر في موطن ما يطوي ذكره في موطن آخر[1]. وردت قصة آدم في ست سور من القرآن، في البقرة، والأعراف، والحجر،والإسراء، والكهف، وطه، ففي سورة البقرة: وردت القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، والعجب من أنهم يكفرون به، فكانت القصة تدور على هذا التذكير من جعل آدم خليفة، وتعليمه الأسماء كلها. وفي سورة الأعراف: وردت هذه القصة في سياق أن الناس قليلاً ما يشكرون الله، الذي مكّنهم في الأرض، وجعل لهم فيها معايش،ولذلك أسهبت القصة في موقف إبليس من الإنسان. وفي سورة الحجر: وردت قصة آدم في سياق فتنة الناس، ولذلك كان الإسهاب فيها في واقعة إبليس وعدائه لآدم وذريته [2].

ومما لا حاجة للبرهان عليه أن السياق يخدم غرضا وهدفا معينا، فتساق فيه الألفاظ المناسبة، والتراكيب والأساليب التي تسهل عملية الفهم والوصول للهدف والغرض والقصد، فالواضح من سياقات القرآن وما ورد فيها من قصص أن القصة في القرآن الكريم لا ترد إلا إذا تطلبها المقام واقتضت البلاغة ذكرها، ويذكر الجزء الذي له علاقة بموضوع السورة، ولا تذكر القصة كاملة، ولهذا خلت سورتا «الأعراف» و «هود» من الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام على الرغم من أن السورتين تحدثتا عن قصص الأنبياء[3]، فسياقات سورة الأعراف وهود دلت على عقاب الله للأقوام التي كفرت بما أرسل به أنبياؤه، والمعروف أن قوم إبراهيم لم يعاقبهم، فلهذا لم ترد قصة إبراهيم مع ما ذكر من قصص الأنبياء والأمم الخالية التي حق فيها عقاب الله.

إن المعاني الأدبية والفنية هي مقصود القرآن من القصص، وهي الأمور التي يبحث عنها، وهي الأمور التي تجعل الحادثة الواحدة تصور بصور

(1) - ينظر، فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني – دراسات بيانية في أسلوب القرآن، دارعمار، عمان، الأردن، ط4، 2006، ص 51.

(2) - ينظر، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن، ص 224-223

(3) - إبراهيم الصعبي، القصة في القرآن الكريم - الخصائص والدلالات-، ص 36

مختلفة ويعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب *الظروف والمناسبات*[1]، ومن هنا تكون هذه قصة وتلك قصة وتكون أقاصيص متعددة لشخص واحد في موقف واحد، لتعدد الأغراض واختلاف صور العرض باختلاف المقصد والغرض[2]، « تكرار آيات القرآن ليس إلا للفظ، وهو في كل سورة معنًى إبداعي مُعجز، فإذا تعدّدت المواضع في القرآن كله بآية، أو جملة أصغر من آية، أو كلمة، أو حرف كان كل من ذلك ثابتًا في نصّه بلا تبديل، وإنما لكل مفردة منه عمل جديد، بكل موضع جديد، حتى إذا احتاج أي إنسان منا، بأي زمان أو مكان، إلى النظر فيما تصلنا به كل مفردة من هذه المفردات في سياقها من أي موضع، وجدنا لها حسابًا، فيه تعميم إلهي معجز، من حيث تقدير جملة مواضع كل مفردة، ومن حيث جملة ما تربطنا به من المقاصد»[3]، فليس المقصود من القصص سرد الحوادث التاريخية، بل المواعظ والعبروالتحذير من معصية الله والبشارة برضوان الله، وهذه الأمور تختلف في موطن عنها في آخر، ومن هنا كان الاختلاف لأن اختلاف المقاصد يدفع من غير شك إلى اختلاف الصور الأدبية[4].

«وإذا حصل اختلاف بين عناصر القصة الواحدة؛ فليس من اللازم أن يقوم علي أساس الذي وقع فعلا، وإنما يقوم علي أساس القصد الذي يرمي إليه القرآن من الصور القصصية» [5]،» اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة _ فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال»[6].

---

(1) - ينظر، محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، ص 123

(2)- ينظر، المرجع نفسه، ص 197-196.

(3) - محمد العفيفي، القرآن الكلام الفصل بين كلام الله وكلام البشر، دار السلاسل، الكويت، ط1، 1986، ص16

(4) - ينظر، عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص27-26

(5) - أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 7.

(6) - القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 281

وقد يكون الدافع من ذكر القصة في السورة هو بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى - كما في قصة أهل الكهف، وقصة إحياء الموتى كما في سورة البقرة، فاستدعى المقام التذكير بقدرة الله، وقد جاء الحديث عن قدرة الله - سبحانه وتعالى - ضمن السياق والجو العام الذي يتناسب مع موضوع السورة [1].

ومن الخصائص الأسلوبية للقصة في سياقها أنك لا يمكن فصل القصة أو تجاوزها» فالقصة في القرآن الكريم تتميز بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضوياً، لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بحيث لو حذفنا القصة من موقعها الوارد في السورة لاختل المعنى، لأن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ»[2].

وعليه فإن للقصة الواحدة دلالات مختلفة، تصب في دلالة السياق المدرجة فيها « القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية، كانت طريقة القص في القرآن متميزة عن المألوف في هذا الفن لكي يتلاءم أسلوب القصة، مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقت لأجله[3]، فالقصة القرآنية أو ما تضمنه جزء أو حدث منها، تتميز بأن لها دلالات مختلفة تأخذ من دلالة السياق أو المقام المدرجة فيه أو توضح دلالته، أو تكون حجة وبرهانا له، مما يجعلها تتناسق مع سياقها أو مقامها، ولا يمكن تجاوزها، بل بالعكس وجب النظر فيما أبهم منها لتتضح دلالاتها ودلالات السياق والمقام بشكل أفضل.

الرابع عشر: تكامل وصف عناصر القصة بين القصص المكررة:

هذا الأمر استنبطناه من تأملنا في القصص المكررة، (الشخصيات، الزمان، المكان، السرد والحوار...) لا تكتمل عناصر القصة إلا بدمج القصص المكررة مع بعضها، «إذا كرر القِصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشتمل عليها

(1) - ينظر، إبراهيم الصعبي، القصة في القرآن الكريم - الخصائص والدلالات-، ص 36

(2) - إبراهيم الصعبي، القصة في القرآن الكريم - الخصائص والدلالات-، ص 73

(3)- ينظر، نور الدين عتر، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، ص 91

كل موضع خلت منها المواضع الأخرى»[1]، ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام؛ ففي سورة طه وصفَها الحقُ سبحانه بأنها: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝﴾[2]، وفي سورة الأعراف: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾[3]، وفي سورة النمل: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾[4] « فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخِفة والنشاط وسرعة الحركة، وهي كأنها جان لكونها مرعبة»[5]، أو أنها «الجان: الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته [6]، في الأول قال بأنها ثعبان فوصف هيئتها، ثم حدد التوصيف بالحركة، فقال هي حية تسعى، ثم وصف الحركة فقال كأنها جان، فوصف حركتها بالسرعة والخفة، ومجمل صفاتها هي مجمل ما ورد في القصص المكرر: الضخامة، الحركة، الخفة، مرعبة، يقول القاضي أبو بكر الباقلاني: «لقد علمنا أن الله تحدّى المعارضين بالسور كلها ولم يخصّ، فعُلم أن جميع ذلك معجز، وذلك لأن الكلمات المكرّرة لفظًا، هي ذات معان جديدة بعد تكرارها» [7].

لأن كل لفظ له دلالته الخاصة به، وإن كان يشترك مع ألفاظ أخرى في دلالة عامة، « فإن الذين نفوا وجود التكرار في القرآن يرون أن المقصود من كل كلمة تكرّر لفظها في القرآن، هو غير نفس تلك الكلمة في موضع آخر،

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 25 - 27، وكذلك ينظر، عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 241، عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ص181

(2) - سورة طه، الآية 20

(3) - سورة الأعراف، الآية 107

(4) - سورة النمل، الآية 10

(5) - عبد الرب آل نواب، الدعوة إلى الله تعالى، ص 161

(6)- ينظر، الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 534، وكذلك، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص55، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 84

(7) - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص152.

فإذا تكرّرت كلمة في القرآن مرتين، فالكلمة واحدة، لكن المعنى والمقصود اثنان، وإذا تكرّرت كلمة أو آية في القرآن خمس مرات، فالكلمة واحدة، لكن المعاني والمقاصد خمسة، وهكذا دواليك، ويسمون ذلك بـ»علم الإحكام والتفصيل»[1] وهذا الأستاذ محمد قطب يطلق على التكرار اسم «التنويع»، يقول: «الظاهرة الحقيقية ليست هي التكرار، وإنما هي التنويع، لا يوجد نصّان متماثلان في القرآن كله، إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل، تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الإخوة والأقارب، لكنه ليس تكرارًا، إنه مثل ثمار الجنة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[2]، «فهم حين يتناولون الثمرة لأول مرة يقولون: هذا الذي رُزقنا من قبل، فإذا تذوّقوه عرفوا أنه مختلف عنه، يشبهه ولكنه لا يماثله»[3]، «إنه هكذا التنويع في القرآن الذي يُخيّل للناس أنه تكرار»[4].

أو أن هذا الأمر يدخل في باب الفصاحة والبلاغة، فمن عادة الفصحاء والبلغاء تكرار اللفظ بصفة زائدة، والقرآن نزل بلغة العرب وبلاغتهم « فمنها أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة، وهذه عادة البلغاء، مثلما جعل لثعبان موسى عدة أسماء ثعبان، حية، جان، وهذه عادة البلغاء، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة» [5].

---

(1)- عودة أبو عودة، شواهد في الإعجاز القرآن - دراسة لغوية دلالية -، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص33.

(2)- سورة البقرة، الآية 25.

(3)- محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص255.

(4)- المرجع نفسه، ص269.

(5) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 25، وكذلك، السيوطي، الإتقان في

ما قدمناه من مثال سابق يعكس تكامل التكرار القصصي في باب وصف أحد شخوص القصة، وإن كنا نجد أمثلة أخرى تشرح تدرج وتطور عنصر من عناصر القصة، « بزيادة بعض التفاصيل التي لم تذكرها الآيات من قبل، والمثال الوارد في السؤال واحد من صور هذه الفوائد، فقد زادت الآيات في سورة الحجر قيدا في وصف الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام، وهو كونه من صلصال من حمإ مسنون، في حين لم تذكر ذلك آيات سورة الأعراف المتعلقة بالقصة [1]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[2]، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾[3]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾[4]، فالألفاظ والمعاني مختلفة في الآيات، وهي تشرح التدرج في أحوالها لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر، وهو التراب، ومن التراب[5]، فالفخار يمر بمراحل، أولا فخار، قبلها، صلصال، طين لازب، حمأ مسنون، تراب، فالله ذكر أصل الفخار ومراحل تدرجه، وتطوره، ولا تناقض في ذلك، مثله مثل ذكر مراحل خلق الإنسان، تراب، نطفة، علقة، مضغة مخلقة وغير مخلقة،...، وقال الإمام ابن تيمية على تكرار قصة موسى مع قومه:» وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل

علوم القرآن، ج3، ص 204 - 205

(1) - ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص ص 29-26

(2) - سورة الحجر، الآية 26

(3) - سورة الصافات، الآية 11

(4) - سورة الرحمن، الآية 14

(5)- ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 54، وكذلك، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 84

اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة، وكذلك القرآن إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر، وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة وكذلك في الجمل التامة، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر»[1]، ونورد مثالا آخر لشرح تكامل عناصر السرد في القصص القرآني:

قال تعالى في سورة طه:﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾[2].

وفي سورة النمل يقول تعالى:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾[3].

وفي سورة القصص جاء قوله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا

(1) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 19، ص 167 - 168.

(2) - سورة طه، الآيات: 9، 10.

(3) - سورة النمل، الآية 7.

لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾[1]

والصور الثلاث التي صور بها هذا الحدث لموقف واحد، وإن اختلفت الألفاظ في التعبير عنه، كما أن الكلام الذي حكي قد وقع بدون زيادة أو نقصان واشتمل على نفس المعاني التي قيلت في هذا الموقف، وهذه الآيات الثلاث في صورها المختلفة اشتملت علي رؤية النار، وعلى أمره لأهله بالمكوث حتى يأتيهم بقطعة منها يتدفؤون بها، أو يجد خبرا هناك يهتدون به.[2]

«ويلاحظ في هذه الآيات الثلاث ما يلي:

(أ) زيادة «امكثوا» في طه والقصص دون النمل.

(ب) قوله «لعلي» في طه والقصص، وقوله «سآتيكم» في النمل.

(ج) قوله «بقبس» في طه و»شهاب قبس» في النمل و»بجذوة من النار» في القصص.

(د) قوله «أو أجد على النار هدى» و «خبر» في كل من النمل والقصص.

أما الزيادة في مكان دون آخر كزيادة «أمكثوا» في طه والقصص دون النمل فهذا لا اعتراض عليه من حيث الإجمال في سورة والتفصيل في أخرى، أو الاكتفاء بما ذكر في أحدى السورتين وحذفه في الثالثة»[3].

وأما قوله « لعلي « في طه والقصص التي تفيد الرجاء و» سآتيكم « التي تفيد اليقين في النمل، فالجواب على ذلك: أنه قد وعدهم بالإتيان بقطعة من النار أو خبر يهتدون به على سبيل الظن فعبر عنهما بصيغة الترجي، وفي سورة النمل لم يأت بذلك ولم يجرد الفعل عن السين لتأكيد الوعد بالإتيان[4]؛ فإنها كما قال الزمخشري: تدخل في الوعد لتأكيده وبيان أنه كائن لا محالة

---

(1) - سورة القصص، الآية 29.

(2)- ينظر، أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 26

(3) - المرجع نفسه ، ص26 - 27

(4) - ينظر، المرجع نفسه، ص 27

وإن تأخر [1]»،«وعلي هذا فلا تعارض بين ما وقع في طه والقصص وما وقع في النمل» [2]

«أما قوله «بقبس» و «شهاب قبس» و «جذوة من النار» باختلاف العبارات في ذلك من سورة لأخرى في السور الثلاث، فيجاب عن ذلك بأن الجذوة خشبة في رأسها قبس له شهاب»[3]، « فهي في السور الثلاث عبارة عن معني واحد، وهنا يمكن القول بأن اللفظة التي نطق بها موسى عليه السلام يمكن أن تقع لهذه الكلمات الثلاث»[4].

وأما قوله «أو أجد علي النار هدي «في طه» و«خبر» في كل من النمل والقصص، فلا فرق بين التعبيرين، إذ الخبر الذي يأتيهم به هو أن يجد علي النار ما يهديه ويخبره أن الطريق هو ما عليه أو غيره، ووجوده الهدى وأن يخبر بخبر اهتدائه في طريقة شيء واحد لا اختلاف عليه[5] .

وبهذا نرى أن هذه الآيات مصورة لموقف واحد حصل لموسي عليه السلام، وكل هذه المقولات من كلامه، وليس فيها زيادة أو نقصان، وهو عليه السلام وإن لم يكن نطق بهذه الألفاظ العربية، إلا أن القرآن الكريم قد نقل ما قاله بأمانة وصدق ومطابقة للواقع، فهي ترجمة معنى بالعربية عن العبرية، وصدق الله إذ يقول:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[6]-[7]، وهناك دلالة أخرى تصب في ما قلناه سابقا، وهي أن عناصر القصة تكتمل بالنظر في ما بين القصص المكررة، من حيث الزمان، المكان، الشخصيات، الحوار، السرد... ، وللتوضيح أكثر نرسم هذا الجدول، بناء على ما تكرر من جزء بسيط في قصة موسى عليه السلام:

(1) - ينظر، الزمخشري، الكشاف،ج 3، ص 137، وكذلك، الألوسي، روح المعاني، ج 20، ص 73.

(2) - أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 27

(3) - ابن منظور، لسان العرب، مادة قبس

(4) - أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 27

(5) - ينظر، الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص232.

(6) - سورة آل عمران، الآية 62.

(7)- ينظر، أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 28

السورة	الزمان	المكان	رؤية النار	أمره لأهله	السبب	البغية
سورة طه، الآية 10	لم يذكر	لم يذكر	ك ك ك	ك ؤ ؤ	ؤ ؤ ؤ ؤ ؤ ؤ ؤ ي	لم يذكر
سورة النمل، الآية 7	لم يذكر	لم يذكر	ذ ذ ذ ذ [لم يذكر الأمر]	ذ آنست ژ ژ ژبخبر أو آتيكم بشهاب قبس		لعلكم تصطلون
سورة القصص، الآية 29	ب ب ب ب ب	ب ب ب	ب ث ث	ث ث ث ث ذ ذ ث ث ذ ذ ف		ف ف
التركيب والتكامل بين ما كرر	بعد أن قضى موسى الأجل المتعلق بمهر زواجه سار بأهله	من جانب الطور	رأى نارا	قال لأهله امكثوا	آنس نارا، لعله يأتي بخبر/هدى، أو بقبس/جذوة	لعلهم يصطلون

ومن قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه من الملائكة، التي تكررت مرتين في السياق القرآني :

	الضيف	التسليم والإنكار	إكرام إبراهيم لضيفه	إيجاس الخيفة	التبشير والتبليغ	وصف زوج إبراهيم	تبشير زوج إبراهيم	تعجب زوج إبراهيم	تأكيد الملائكة للبشرى	مجادلة إبراهيم في قوم لوط	رد الملائكة على مجادلة إبراهيم
سورة هود، الآيات: 69-76	ك ك ؤ ؤ ؤ [ذكر أنهم نزلوا ضيوفا على إبراهيم مثلما ذكر في سورة الذاريات]	ؤ ؤ ؤ ؤ [لم يقل لهم قوم منكرون، ولم يذكر بأنهم دخلوا عليه مثلما جاء في سورة الذاريات]	و و ؤ ؤ ي ي [لم يأت خبر أنه ذهب إلى أهله، وأنه أتى بعجل سمين، وصف أنه مشوي فقط]	ب ب ب لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً [لم يذكر أنه قربه إليهم]	قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ [لم يأت خبر البشرى بالغلام]	وَامْرَأَتُهُ ى ى [لم يأت ذكر أنها أقبلت في صرة، وغطت وجهها]	ب ب وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ	آ ب ب ب ب ب ب ب ب ب [لم يأت ذكر أنها عقيم]	ث ث ث ث ث ث ث ث ف ف ف	ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج	ي ي ذ ذ ذ ذ ذ ز ز ز ك ك ك ك [لم يذكر نوع العذاب وصفته مثلما حدد في سورة الذاريات

سورة الذاريات: الآيات: 24-34	﴿ ۞ ﴾ [لم يحدد نوع الضيف مثلما جاء في سورة هود]	﴿ ۞ ﴾ [لم يحدد نوع الضيف مثلما جاء في سورة هود]	﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ [لم يذكر أنه لم يلبث كثيرا، وأن العجل مشوي بل وصف أنه سمين فقط]	﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ ﴾ [لم يذكر أنه رأى بأن ضيوفه لا يأكلون]	﴿ ۞ ﴾ ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ [لم يأت الخبر بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط]	﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ﴾ [لم يأت الذكر على أنها ضحكت بمعنى حاضت على أرجح الأقوال]	[لم يذكر تبشير الملائكة لزوج إبراهيم بالولد]	﴿ وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾ [لم يذكر قولها بأن زوجها شيخ كبير، ولم يذكر تعجبها]	﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	﴿ ۞ ﴾ [لم يذكر جدال إبراهيم للملائكة، في إهلاك قوم لوط]	﴿ ۞ ﴾ [لم يحدد، القوم بعكس ما ورد في سورة هود]
التركيب والتكامل بين ما كرر	الملائكة تنزل ضيوفا على إبراهيم	دخلوا عليه فسلموا وسلم عليهم، وقال لهم أنتم قوم منكرون	راغ إلى أهله ولم يلبث ورجع بعجل سمين حنيذ	فلما قربه إليهم ولم يأكلوا خاف منهم	قالوا له إنهم مرسلون لقوم لوط وبشروه بالغلام	أقبلت زوجته، في صرة صاكة وجهها، فلما قامت عندهم ضحكت	فبشرتها الملائكة بالغلام	قالت بأنها عجوز عقيم وزوجها شيخ كبير، فتعجبت	فردت الملائكة بمجل القول الوارد في السورتي ن	إبراهيم يسأل عن وجهة الملائكة ويجادل في قوم لوط كأنه يريد منحهم فرصة أخرى	الملائكة ترد بأن الأمر جاء من الله ولا راد له، بعذاب ينزل حجارة مسومة من طين

وفي قصة هلاك عاد، نجد في كل موطن جانبا لم يذكر في قصص أخرى، والمجمل هو ما ورد في كل هذه القصص المكررة المتكلمة أو الواصفة لهلاك قوم عاد، نتبين هذا من الجدول التالي:

	سبب العقاب	وسيلة العقاب	صفتها	مدتها	قول القوم عند رؤية العذاب في أوله	وصفهم بعد الهلاك	الهلاك الكلي
سورة الحاقة: 4 – 8	ثمود وعاد	بريح	صرصر	سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا	لم يذكر	فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ	فَهَلْ ترى لهم مِّن
سورة فصلت: 13 – 16	فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة وكانوا بآياتنا يجحدون. فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي	فارسلنا عليهم ريحا	صرصرا	[لم تحدد كما في سورة الحاقة]	لم يذكر	لم يذكر	لم يذكر
سورة الأحقاف: 22 – 25	فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم.تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى إلاّ مساكنهم	ريح	فيها عذاب اليم	لم يذكر	هذا عارض ممطرنا	لم يذكر	فأصبحوا لا تلاى إلا مساكنهم

	كذلك نجزي القوم المجرمين						
سورة القمر: 18 - 21	كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذري.إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذري	ريحا صرصرا	تنزع الناس	[لم تحدد كما في سورة الحاقة]	لم يذكر	كأنهم أعجاز نخل منقعر	لم يذكر
التكامل	الكفر بالرسل والآيات، ويوم القيامة، والاستكبار في الأرض	الريح	ريح صرصر عاتية تدمر كل شيء بأمر ربها	سبع ليال وثمانية أيام	قال القوم لما رأوا العذاب بأن المطر سينزل، ولم يشكوا في أن الهلاك قادم	أصبح القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية.	لم يبق منهم أحد إلا مساكنهم

ومن هذه الجداول المتضمنة مقارنة أسلوبية بين السياقات، يتضح لنا تكامل العناصر القصصية من القصص المكررة في القرآن، فكل قصة من القصص المكررة ذكرت فيها عناصر من عناصر القصة الأم، لم تذكر في القصص المكررة الأخرى، «إن تكرار القصص القرآني ليس تكراراً للقصة بآياتها وعباراتها، وإنما هو ذكر جانب أو أكثر من القصة في موضع لمناسبة، وذكر جانب آخر أو أكثر في غيره لمناسبة أخرى، مع تباين واختلاف هذه الجوانب بعضها عن بعض، بمعنى أن القصة إذا قرأتها في مكان آخر فانك تقرأ في الموضع الآخر جانبا لم يذكر في الموضع الأول، تكملة للصورة العامة التي يقررها القرآن في قصصه»[1]، أو فك الإبهام في بعض الجوانب

(1) - أمين محمد عطية باشا، التكرار في القصص القرآني، ص 4

القصصية مثلا في قصة آدم: قال الله تعالى:﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1]، فما هي الكلمات التي قالها آدم لربه حتى غفر له؟، فيمكن معرفة الكلمات التي قيلت بهذا المنهج، وفي الجزء الذي يخص قصة إبراهيم عليه السلام ومجادلته للملائكة في قوم لوط، من سياق النصوص التي أوردناها يبدو الجدال مبهما، لكن إن أحضرنا ما كرر في موضع آخر في سورة العنكبوت يتجلى لنا هذا الجدال بما ورد فيه من حوار، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[2]، فهذا النص يوضح نوع الجدال وحجة إبراهيم فيه.

كما يتجلى لنا أمر آخر وهو تكرار المعاني بأساليب مختلفة، فالجذوة والقبس واحد، والخبر والهدى واحد، واستئناس النار يعني أنه رأى نارا فمعنى الرؤية متضمن في معنى الاستئناس، وزمن الليل متضمن في معنى بغية الجذوة والقبس، رؤية النار، وطلب الخبر والهدى، والاصطلاء كلها تشير على أن الزمن ليل، هذا المنهج التكاملي يتجلى في كل القصص القرآنية المكررة، من حيث الزمان، المكان، وصف الشخصيات، الحوار...، وإن طبق مثلا على قصة آدم أو قصة موسى وحواره مع الفرعون...، سيخرج بقصة متكاملة في الوصف، والسرد، الشخصيات، الزمان المكان...

هذه الدلالات تصب في خانة أن التكرار القصصي في القرآن له دلالة اتساق النص القرآني وتماسكه، يقول الدكتور سعيد البحيري: « وفعالية تكرار الكلمات والعبارات والجمل والفقرات أحيانا تظهر على مستوى

(1) - سورة البقرة، الآية 37

(2)- سورة العنكبوت، الآيتان: 31 - 32

السورة الواحدة مثل تكرار لفظ الجلالة أو فعل أو قول...الخ ، وذلك حتى يظهر التماسك النصي على مستوى هذه السورة، أما تكرار القصص فإنه لا يحدث على مستوى السورة الواحدة بل يتعداها إلى تكرار على مستوى السور، وذلك مثل تكرار قصة آدم عليه السلام مع ربه، ووسوسة إبليس لأدم ومثل تكرار قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه...الخ، ويعد ذلك نوعا من أنواع التماسك النصي»[1].

(1) - سعيد البحيري، علم لغة النص، ص 2، وكذلك، صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص 21